علوم العربية والتفسير

أ/ بداوي محمد
المركز الجامعي النعامة

الملخص:
ارتبط القرآن وتفسيره باللغة العربية، إليه ترجع نشأة علوم العربية من نحووصرف ولغة ومعجم وبلاغة وأدب. وقد صارت الرغبة في فهم القرآن دافعا لحفظ لغة العرب وما كان لعلوم العربية أن تكون لولا القرآن

وسرّ هذا الارتباط بين العربية والقرآن أن هذا الأخير نزل بلسان عربي مبين، فألفاظه هي الألفاظ التي كان يتداولها العرب في كلامهم، ينظمون بها شعرهم، ويلقون بها خطبهم وحكمهم، وأساليبه هي أساليب العرب في كلامهم من الحقيقة والمجاز والكناية والحذف والإيجاز. وكتب لهذه اللغة التي نزل بها القرآن أن تكون الوعاء الذي أفرغت فيه جميع معانيه،

اعتمد علماء العربية ــ من لغويين ونحويين وبلاغيين ــ على القرآن الكريم لأنّه يمثّل العربية في أحسن صورها وأنقاها وأفصحها من حيث المفردات والتراكيب. وكان لهم اليد الطولى في خدمة القرآن في رسمه وضبطه ومعانيه وقراءاته وأبنيته وألفاظه، وبلاغته وإعجازه.

ومن جهة أخرى عدّ علماء الشريعة علوم العربية من آلات صناعتهم لفهم القرآن واستنباط أحكامه واستكشاف أسراره. وكان علم التفسير أكثر حظا من علوم الشريعة الأخرى فيما أفاده من علوم العربية.

* الكلمات المفتاحية: التفسير – البلاغة – نحو– اللغة.

توثقت صلة العربية بالقرآن بأوثق رباط حتى إنه ليعسر على الدارس الفصل بينهما، وبخاصة في نوع من التفسير الذي يعرف بالتفسير اللغوي.

يقول الزرقاني في تأصيل هذه العلاقة: «أما التزام قواعد اللغة في التفسير، فلأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، ويقول منزله جلّ شأنه ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾[1] . وقضية عروبته هذه أن

---

1 يوسف:2

يفهم على قوانين لغة العرب، وإلا فلا يرجى أن يعقل ما فيه، ولا أن يفهم ما يحويه، وذلك معنى قوله ﴿لعلكم تعقلون﴾ بعد قوله﴿عربيا﴾»[1]

ويقول الرافعي مبينا هذه الصلة:«إن هذه العربية لغة دين قائم على أصل خالد هوالقرآن الكريم. وقد أجمع الأولون والآخرون على إعجازه بفصاحته إلا من حفل به من زنديق»[2]

وقد تمثلت قوة العلاقة بين التفسير وعلوم العربية في مظهرين بارزين:

أولا: اهتمام المفسرين بالعربية ومسائلها.

ثانيا: اهتمام علماء العربية بالقرآن.

أولا: اهتمام المفسرين بالعربية ومسائلها:

اهتم المفسرون بمسائل العربية اهتماما ظاهرا ينبئ عن قوة العلاقة بين التفسير وعلوم العربية لحاجتهم إلى فهم القرآن وبيان آياته، ولهذا جاءت تفاسيرهم زاخرة بمسائل العربية في مختلف فنونها

نشأت العلاقة بين علوم العربية والتفسير منذ أن احتيج إلى توضيح آيات القرآن، وصيانته من اللحن. وبسبب من ذلك أخذت العلاقة بين التفسير وعلوم العربية تتوثق فكلما ازداد جهل الناس بالعربية، وابتعدوا عن تعرّف أساليب العرب في كلامها ازدادت الحاجة إلى بيان معاني القرآن ومراميه وإشاراته.

عند ذلك لم يكن أمام المفسرين بدٌّ من اعتماد قواعد العربية لتوضيح معاني الآيات، فأصبحت معرفة اللغة من ألزم العلوم التي يجب على المفسر أن يلم بها حتى يفسر كتاب الله. لذلك شدّد العلماء على أهمية العربية لمن أراد تفسير القرآن، وأجمعوا على اعتبارها مرجعا أصيلا، ولا غنى عنه في الكشف عن معاني القرآن.

فقد روى البيهقي في الشعب عن مالك أنه قال:«لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسّر كتاب الله إلا جعلته نكالا »[3]. وذكر السيوطي علوما يجب على المفسر أن يتقنها، منها علم النحووالصرف والاشتقاق والبلاغة بأقسامها ولغات لعرب..[4]

ويبيّن الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور حاجة التفسير إلى علوم العربية، فيقول:«إن القرآن عربي، فكانت قواعد العربية طريقا لفهم

---

1 الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن،دار المعارف، بيروت،ط2،ج1،544

2 الرافعي، تاريخ آداب العرب،دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1974، ج1، ص95

3 السيوطي،الإتقان، دار الفكر، بيروت، دط، دت،ج2،ص179

4 المصدر نفسه،ج2،ص180ـ181

معانيه وبدون ذلك يقع الغلط، ونعني بقواعد العربية مجموع اللسان العربي، وهي متن اللغة،والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان.»[1].

ومن هنا، أثرت العربية من خلال الاتجاه اللغوي في التفسير، حيث استخدم هذا النوع من التفسير كل علوم اللغة التي توصل إليها المسلمون، وأفاد من كل ما قدمته العقلية الإسلامية في هذا الباب سواء تعلق ذلك باللفظ أوبالتركيب،وسخره جميعه في خدمة النص القرآني.

وبدا هذا التأثر يظهر في مدرسة مكة، فقد كان ابن عباس(ت68هـ)- رأس هذه المدرسة - أول المتأثرين والمستعينين في تفسير الكثير من غريب اللفظ وتركيبه بالشعر العربي، ما كان منه جاهليا، وما رددته ألسنة الفحول في صدر الإسلام. وأعانته ثقافته الأدبية من خلال محفوظا ته الشعرية على المعالجات اللغوية في التفسير، فكان صاحب أول مدرسة في التفسير استعانت باللغة واتسع نطاقها فيما بعد.

يقول ابن عباس: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب»[2]. ومما يروى في ذلك قول نافع بن الأزرق لابن عباس:»أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾[3] ما السنة ؟ قال: النعاس، قال زهير بن أبي سلمى:

لا السنة في طول الليل تأخذه ولا ينام ولا في أمره فند[4]

وقد اعتمد على علوم العربية، فيما بعد، المفسرون عند تناولهم لنصوص كتاب الله في فهم معانيه، وأسلوبه، وأغراضه. وشكّلت علوم العربية أساسا كبيرا في علم التفسير لم يخل منهما مصنف فيه، وإن تفاوتت نسبة استخدامها تبعا لثقافة المفسر خاصة.

والناظر في التفاسير يجد اهتمام المفسرين بمسائل العربية وعلاقتها بالتفسير في مقدماتهم، أوأثناء معالجتهم للآيات.

فالطبري(ت310هـ) يجعل علوم العربية أساسا للتأويل، وقد أوتي من الثقافة اللغوية ما هوجدير أن يعرض لتفسير القرآن تفسيرا لغويا يتحاكم فيه للتعرف على دلالة اللفظ القرآني في الاستعمال العربي،

---

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج1،ص16

2 القرطبي،الجامع لأحكام القرآن،دارالكتب العلمية،بيروت،ط19961،5،ص24.وينظر: الإتقان،ج1،ص121

3 البقرة:255

4 القرطبي،المصدر السابق،ج25،1. وقد جمع السيوطي مجموعة من الأشعار التي استشهد بها ابن عباس في حواره مع نافع الأزرق، ينظر:الإتقان،ج1،ص121وما بعدها.

والاحتكام إلى ديوان العرب أي شعرهم. يقول في معنى لفظة تأويل في الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾[1]. «وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنّه التفسير والمرجع والمصير. وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى:

على أنّها كانت تأوَّلُ حبَّها تأوُّل ربْعِيٍّ السِّقَابِ فأصْحَبَا[2]

ويتعقّب الطبري معنى لفظة الصلاة في الشعر الجاهلي وصلته المعنوية بين استعمالها الجاهلي واستعمالها الإسلامي، فيقول: «وأما الصلاة في كلام العرب فإنها الدعاء، كما قال الأعشى:

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهر بيتها إذا ذُبِحَت صلَّى عليها وزَمْزَمَا[3]

كما أدرك المفسرون أنه مما يتصل بإتقان تفسير كتاب الله أن يدرك المتصدي للتفسير أن من مهماته الكبرى الكشف عن أسرار البلاغة وجوانب الإعجاز في هذا الكتاب،وتقرير هذا يتصل بأصول التفسير أوثق اتصال.

ومن أمثلة الدرس البلاغي في تفسير الطبري، تأويل الطبري قوله تعالى﴿أُولَئِكَ يَدعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوإِلَى الجَنَّةِ وَالمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾[4]، فقد وجّهه: يدعونكم إلى النار: يدعونكم إلى العمل بما يدخلكم النار[5]، وهذا مجاز مرسل علاقته – كسابقه – اعتبار ما يكون، وعدل به عن الحقيقة التي هي يدعونكم إلى العمل السيّئ للمسارعة بالإنذار والتهويل من عاقبة ما يدعونكم إلى الكفر[6].

يتبين أن المفسِّر يقف عند ما روي من المأثور الصحيح، بل يضيف إليه ما عرف في عصره من نحوولغة وشعر ويبرز ذوقه الأدبي وحسه البلاغي، فكانت ترجيحاته للمعاني المختلفة تقوم على نظرات أدبية ولغوية.

وللزمخشري(ت538هـ) باع طويل في تناول القضايا البلاغية في تفسيره، فقد سلك طريقا لم يسلكه أحد قبله من المفسرين، فقد حفّز العلماء إلى تناول بعض الأمور البلاغية بالشرح، يقول ابن خلدون مبينا إغفال التفاسير علم البيان: «وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه

---

1 آل عمران:7

2 الطبري،جامع البيان عن تأويل آي القرآن،دار الفكر،بيروت،دط،1405هـ،ج2،ص24

3 المصدر نفسه،ج3،ص104

4 آل عمران:85

5 الطبري،المصدر السابق السابق،ج1،ص88

6 الزمخشري،الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،دار المعارف،بيروت،دط،دت،ج1،ص361

(أي علم البيان) حتى ظهر جار الله الزمخشري، ووضع كتابه في التفسير، وتتبع آي القرآن بإحكام هذا الفن لما يتبدى البعض من إعجازه»[1].

ويكفي للتعليل على اهتمام المفسرين بمسائل العربية، ما ورد في مقدمات تفاسيرهم ــ في معرض حديثهم عن مناهجهم ــ أنهم اتخذوا علوم العربية آلات صناعتهم لفهم وبيان آيات القرآن. يقول أبوحيان في حديثه عن منهجه: «..ثم أشرع في تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها إذا كان لها سبب ونسخها ومناسبتها واستنباطها بما قبلها،حاشدا فيها القراءات شاذها ومستعملها، ذكرا توجيه ذلك في علم العربية..وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقررها والاستدلال عليها على كتب النحو. ثم اختتم الكلام في جملة من الآيات فسرتها إفرادا وتركيبا بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع..»[2]. فأفاد المفسر قارئه بوصله بمعاني القرآن من جهة، ووصله بالعربية من جهة أخرى

وهوالأمر الذي نراه عند ابن عاشور، فلا تخلومقدمة من مقدمات تفسيره "التحرير والتنوير»من حديث مسهب عن علوم العربية، وأهميتها في بيان معاني القرآن. ويكفي أن صاحبه جعل غايته في تفسيره معالجة قضايا لغوية ذات صلة بالقرآن، يقول:«..ولكن فنا من فنون القرآن لا تخلوعن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهوفن دقائق البلاغة هوالذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن..»[3].

ثانيا: اهتمام علماء العربية بالقرآن وتفسيره عنى علماء العربية بالقرآن الكريم، فظهر نوع من التفسير اللغوي المتخصص ببعض الجوانب التي تحتاج إلى بيان في القرآن الكريم، والذي جاء إثر تدوين اللغة، ووضع قواعدها التي تضبطها، وأسس البلاغة التي يجري عليها البيان العربي.

وقد كان العامل الرئيس وراء كل هذا هوصيانة لغة القرآن من كل تحريف بسبب فساد الملكة اللغوية. يضاف إليه السعي لاستكشاف أغوار النص القرآني، وتوضيح آياته والكشف عن معالم الجمال والإيجاز فيه.

1ـابن خلدون، المقدمة،،دار الكتاب العربي،بيروت،ط1996،4، ص240

2ـأبوحيان، البحر المحيط،دار إحياء التراث العربي،بيروت،دت،ج1،ص14

3ـ ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج1،ص7

ومن أجل ذلك رأينا منهم من تتبّع مفردات القرآن الكريم، يوضّح ما خفي منها على عامة المسلمين. ومنهم من عمد إلى آياته يبيّن أوجه الإعراب التي تحتملها والمعاني المترتبة عليها. ووجدنا منهم من عمد إلى الناحية البيانية في القرآن يستقصي بعض أساليبها ويوسعها شرحا وتوضيحا. وبذلك كان لهذه العلوم أكبر الأثر في التفسير. وفي الوقت نفسه دلّ على اهتمام علماء العربية بالقرآن وتفسيره.

أ ــ النحويون والقرآن:

كان علم النحومن أشد علوم العربية حظوة في علاقته بالقرآن الكريم وتفسيره. فقد وضع أول ما وضع لصيانة لغة القرآن من كل تحريف[1]. وساير النحوالقرآني التفسير بسبب قدسية النص القرآني وضرورة تفسيره، وتوضيح مقاصده. فكان ذلك باعثا، من جهة أخرى، على تدوين اللغة واستنباط القواعد. فلا غرابة إذن أن يكون بالقرآن وللقرآن وضع النحووالإعراب.

خدم النحويون القرآن والتفسير في القراءات المتواترة والشاذة. فوجّهوها بالتعليل المستند إلى الأصول المعتمدة عندهم، واستشهدوا على ذلك بالشواهد الفصيحة. وقد استندوا إلى هذه القراءات في قواعدهم وإرساء معالم الصناعة النحوية والصرفية، وضبط مفردات اللغة.

ومن المؤلفات في هذا الشأن لخدمة القراءات في ضوء صناعتهم، "الحجّة»للفارسي(ت377هـ)، و"الكشف»للمكي(ت437هـ)، و"المحتسب»لابن جني(ت597)، و"إعراب القراءات الشاذة»للعكبري(ت616). وفي كل هذه المؤلفات سعى أصحابها إلى ضبط القراءة وتوجيهها حسب قوانين الصناعة النحوية إعرابا وشرحا لمعناها والاستشهاد عليها من شعر العرب ومنثورهم.

وليس غريبا أن يكون النحاة الأوائل الذين بنوا صرح هذا العلم من القراء، كأبي عمروبن العلاء(ت154هـ) وعيسى بن عمر(ت149هـ)، والخليل بن أحمد(ت175هـ).

كما طبعت بعض كتب النحويين باسم معاني القرآن نحوكتاب "معاني القرآن»للكسائي(ت189هـ) والفراء(ت207هـ)، والأخفش(ت215هـ). وهي مؤلفات تتقاطع مع اللغويين لطابعها النحوي

---

1 ـ حول وضع النحو، ينظر: ابن خلدون، المقدمة،548. ومختار عمر، البحث اللغوي عند العرب،عالم الكتب،القاهرة، ط8، 2003 ص81وما بعدها.

اللغوي، يضاف إليها الحجّة في القراءات لابن خالويه(ت370هـ)،وكتب إعراب القرآن للمكي القيسي والنحاس(ت338هـ)، والعكبري.

ويمكن اعتبار كتاب سيبويه(ت180هـ) مصدرا مهيئا للتفسير اللغوي، فهوالمصدر الأساسي الأول في وصف نظام اللغة العربية اللغوي، وقوانينها النحوية. وبملاحظة غزارة الشواهد القرآنية فيه، وعناية سيبويه بتحليلها، وبيان معانيها يجعله أول كتاب يتضمن التجربة الجزئية الأولى المعتمدة النحومدخلا إلى التفسير ومنهجا فيه[1].

كما وضع الإمام ابن هشام(ت761هـ) كتابه "المغني اللبيب عن كتب الأعاريب»لهذا الغرض، فكان كتابه هذا في حقيقته تفسيرا نحويا لآيات القرآن، فلا تخلوصفحة من صفحاته من آيات القرآن الكريم يأتي بها على جهة التمثيل أوالتخريج، أوعلى جهة الاستشهاد، ويبحث في القراءات وتوجيهاتها النحوية، فكان بذلك خير كتاب نحوي يدور حول آيات القرآن في ضوء النحوالعربي، وفي ضوء مقاييسه وأصوله.

إن هذا الالتفات من النحويين إلى إعراب القرآن موجّه أولا وقبل كل شيء لخدمة معنى القرآن وتجليته. وهوأكبر جهد في تحليل النصوص، وخدمة النص القرآني بخاصة.

ب ــ اللغويون والقرآن الكريم:

وسم اللغويون كتبهم بالطابع اللغوي. وإن كانت في بعض الأحيان تتقاطع مع النحولطبيعة التأليف أنذاك. وتناولت هذه المؤلفات ألفاظ القرآن من جوانب مختلفة في ضوء الشعر العربي وكلام العرب.

واعتبرت كتب "مجاز القرآن»لأبي عبيدة(ت210هـ)، و"معاني القرآن»للفراء وغيرها من كتب التفسير، ذلك أن أصحاب هذه المصنفات كانوا يعتبرون القرآن الكريم مصدرا أصيلا للغة العربية. وقد عالجوا ألفاظ القرآن معالجة لغوية صرفة، وإن كانوا في بعض المواضع يعرضون لأسباب نزوله[2].

وهكذا كان التفسير اللغوي النحوي يمدّه علماء اللغة والنحو، فاتخذوا من غريب ألفاظ ولغته وتراكيبه ميدانا لهم. ونرى هذا الاهتمام واضحا في "مجاز القرآن»لأبي عبيدة، و"مشكل القرآن"، وأدب الكاتب»لابن قتيبة (ت276) و"الفصيح»لثعلب(ت291).

---

1 ـالهادي الجطلاوي، قضايا اللغة في كتب التفسير،كلية الآداب،سوسة،دار محمد علي الحامي، تونس،ط1998،1،ص51ـ53

2ـأحمد عبد الغفار،النص القرآني وضرورة تفسيره،دار المعرفة الجامعية،الإسكندري،2003،ص189ـ190

ويمكن اعتبار أبي عبيدة من اللغويين الأوائل الذين فسروا القرآن قصدا لا عرضا، فكان أول من وضع العلوم اللغوية الناشئة نحوا ومعجما في خدمة النص القرآني[1].

كما كان أول من سنّ في التفسير منهجا التزم به جميع المفسرين يتناول المادة القرآنية حسب الترتيب الذي دارت عليه في المصحف. فكان كتابه "مجاز القرآن»تأسيسا لمنهج لغوي في مباشرة النص توظف فيه اللغة في خدمة الدلالة وهتك حجاب المعنى، فقد حرص أبوعبيدة حيث كان الغموض حاصلا أومحتملا يعرّف بأسبابه المعجمية أوالإعرابية أولتركيبية أوالبلاغية[2].

وهوما يجعل اللغة أداة للتأويل عند المدرسة العقلية في التفسير، فقد التزم المعتزلة من تفسير القرآن بالمبدأ العقلي. ورسالة التفسير عندهم هي تأويل ما لا يتفق مع مبادئهم العقلية. ولذلك قام التأويل عندهم بتوجيه اللفظ عن الوجهة المعنوية الأولى المرادة إلى وجهة ثانية، مع استغلال مرونة اللغة في ذلك من حيث وجوه المعنى، فالمجاز نافذة إلى التأويل، يبيح للفظ أن يحمل أكثر من معنى أومعان متعددة الاستعمال[3].

إن هذا المبدأ اللغوي في التفسير عند المعتزلة يتأسس من مقولة الجاحظ(ت255هـ): «فللعرب أمثال واشتقاقات وأبنية، وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإراداتهم. ولتلك الألفاظ مواضع أخر، ولها حينئذ دلالات أخر، فمن لم يعرفها جهل الكتاب والسنة والشاهد والنقل»[4]

وقد خدم اللغويون القرآن والتفسير من خلال:

1ـ التأليف في لغات القبائل الواردة في القرآن، ببيان أصول الألفاظ القرآنية وعزوها إلى قبائلها. وقد أفاد المفسرون كثيرا من معرفة لغات العرب الواردة في القرآن، واستندوا إليها في تفسير كثير من الآيات. وهذا العزوإلى لهجات القبائل في التفسير باب واسع في

---

1 ـالهادي الجطلاوي، مرجع سابق،ص51

2 ـالمرجع نفسه،ص56

3 ـالجويني، مناهج في التفسير، دار منشأة المعارف،الإسكندرية، دط، دت،ص110، وينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون،مكتبة وهبة،القاهرة،ط1988،4،ج1،355

4ـالجاحظ، كتاب الحيوان،تحقيق عبد السلام هارون،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1969،3، ج1،ص153

مصنفات التفسير، وإعراب القرآن. ومن المصنفات التي وصلتنا في هذا الباب، لغات القرآن لكل من أبي عبيد وأبي حيان..[1].

2ـ التأليف في الاشتراك والترادف والأضداد، إذ كان اهتمام اللغويين بهذه القضايا بارزا من خلال دراسة ألفاظ القرآن. وكان الغرض من تأليف كتب الأضداد هوخدمة القرآن، كما صرح به ابن الأنبا ري (ت577ه) في مقدمة كتابه:»هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف مؤديا عن معنيين مختلفين، ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب أن ذلك كان منهم نقصا من حكمتهم،وقلة بلاغتهم»[2].

كما اجتهد اللغويون في بيان المشترك اللغوي في ألفاظ القرآن. ومن المؤلفات البارزة في هذا المجال كتب الوجوه والنظائر[3]. وقامت دراسات لغوية حول الترادف في الحقل القرآني، يقابلها مؤلفات اهتمت بالفروق الدلالية بين معاني ألفاظ القرآن، ومن هذه الدراسات كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت400ه). يقول في مقدمته:«...وجعلت كلامي فيه على ما يعرض منه في كتاب الله، وما يجري في ألفاظ الفقهاء والمتكلمين وسائر محاورات الناس»[4]

وقد ساهم هذا النوع من الخدمة اللغوية في إجلاء معاني كثير من الآيات. وأثار بين علماء العربية والمفسرين مناقشات، أفادت منها المكتبة القرآنية واللغوية على السواء، كما كان له الأثر البارز في فهم كثير من الآيات ودلالة ألفاظها.

3ـ التأليف في المعاجم: وهوالاهتمام بمعاني مفردات ألفاظ القرآن قام به علماء العربية خدمة للقرآن، يهتم بترتيب مواد اللغة. ومن الكتب البارزة في هذا الشأن كتاب المفردات للراغب الأصفهاني(ت503ه)، ومعجم أساس البلاغة، ومقاييس اللغة، واللسان وغيرها، تذكر المعاني اللغوية الواردة داخل المادة،

ويستشهد عليها بآيات من القرآن. وفائدة هذا الضرب من المؤلفات جمع المعاني الواردة للمادة اللغوية الواحدة في كتاب الله، أوالاستشهاد على المواد اللغوية عامة بالمعاني السياقية في القرآن الكريم.

1ـعبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم،مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط1، 1981، ص75

2ـابن الأنباري،الأضداد،تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم،المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1991ص1

3وهي مؤلفات عدت فرعا من التفسير،ينظر: ابن الجوزي،نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر،ص49 وما بعدها.

4ـأبوهلال العسكري،الفروق في اللغة،منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1981، ص9

يقول الراغب في لفظ "جـن":»أصـل الجـنِّ سـتر الشـيء عـن الحاسة..وجنّ عليه كذا ستر عليه، قال تعالى ﴿فلمَّا جَنَّ عَلَيْـهِ اللَّيْـلُ رَأى كَوكَبًا﴾[1]،والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسـة، والمِجَـنُّ والمِجَنَّة الترس
الذي يَجُنُّ صاحبه، قال عزوجل﴿ اتَّخذُوا أيمَانَهُم جُنَّةً﴾[2] والجنة كـل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض، قال عزوجل﴿ لَقَد كَانَ لِسَـبَأٍ فِي مَسَاكِنِهِم آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يمينٍ وَشِمَالٍ﴾[3]»[4]

ويضاف إلى ما ذكر تلك الجهود التي قام بها اللغويون فـي تنـاول الألفاظ المعرّبة التي استخدمها القرآن. وقـد تصـدى لهـا اللغويـون وردّوها إلى أصولها، ومن المصنفات في هذا الميدان المعرّب للجـواليقي(ت540هـ). يقول في مقدمته:»هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمـت بـه العرب من الكلام الأعجمي ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبـار الرسول عليه السلام، والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، وذكرته العرب في أشعارها ليعرف الدخيل من الصريح »[5]

ومن هنا، فإن جهود اللغويين كانت تهدف إلى خدمة القرآن، وأفـاد التفسـير كثيـرا مـن تلـك الجهـود فـي تفسـيرالقرآن.

ج ــ البلاغيون والقرآن الكريم

نشأت علوم البلاغة من علم المعاني والبيان والبديع للـدفاع عـن القرآن، والرد على الذين أنكروا إعجازه. وهوما دفـع العلمـاء إلـى الخوض في مسائل البلاغة التي تدرس خصائص النص القرآني، ممـا كان له الأثر الكبير في إغناء المباحث البلاغية. وقد أثمرت أهم نظرية في تراثنا البلاغي، وهي نظرية النظم[6]

وإذا كان الدافع للاهتمام ببيان القرآن في أول الأمر هوالدفاع عـن كتاب الله أمام نزعات الشك ورد المطاعن، فإن دراسات جادة شرعت في بناء منظومة واسعة غرضها شرح أوجه إعجاز القـرآن ودراسـة أسلوبه. ولهذا لا نجد كتابا في البلاغة مقصورا على مباحثها النظريـة وبعيدا عن خدمة القرآن.

---

1 ـالأنعام:76

2ـالمجادلة:16

3 سبأ:15

4 ـالراغب،معجم مفردات ألفاظ اللغة،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1997،1(جن)،ص111

5ـالجواليقي،المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم،دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2008،ص5

6ـحمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب،أسسه وتطوره إلى القرن السادس،منشورات الجامعة التونسية، دط، 1981ص35ـ36

ومن التصانيف التي ربطت البحث البلاغي بالقرآن كتاب "البديع»لابن المعتز(ت296ه)، و"الصناعتين»لأبي هلال العسكري الذي يقول في مقدمته: ".. وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّ الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب»[1]

لقد بلغ التصنيف في علوم البلاغة غاية بعيدة في النضج والإحكام على يد عبد القاهر الجرجاني(471ه) في كتابيه "أسرار البلاغة»"ودلائل الإعجاز". وكان لهما منزلة عالية من نضج التفكير البلاغي، ويتضح فيها توجيه علوم البلاغة توجيها خالصا لخدمة القرآن.

ونراه ينبّه إلى حاجة التفسير لعلوم البلاغة في فصل سمّاه «فصل في تهور بعض المفسرين»قال: «ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن يتوهموا في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظاهرها، فيفسدوا المعنى بذلك، ويبطلوا الغرض، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف«[2]. وتلك إشارة منه إلى أن العلاقات المجازية مقدَّمَة على التكثّر من المعاني الظاهرة بحمل الألفاظ على حقائقها.

وهكذا كان القرآن دافعا لنشأة علوم العربية، وتطوّر دراساتها. كما أفاد التفسير من علوم العربية في بيان معاني القرآن وتوضيح مقاصده. وبموجب هذه الصلة الوثيقة بينهما ظهر نوع من التفسير يعرف بـ"التفسير اللغوي"، وهوما أسهم في تأويل النص القرآني اعتمادا على ثقافة المفسّر، يسخّر من خلالها اللغة وطاقاتها التعبيرية لتوجيه المعنى. وكان من ثمار هذه العلاقة بين علوم العربية والتفسير إثراء المكتبة العربية بمؤلفات متنوعة تخصّ الدراسات اللغوية في الحقل القرآني.

1ـأبوهلال العسكري،كتاب الصناعتين الكتابة واشعر،المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006، ص7

2ـعبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،دار الكتاب العربي،بيروت،ص235

ثبت المصادر والمراجع:

1-ابن الأنباري، الأضداد،تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، دط

2-الجاحظ، كتاب الحيوان،تحقيق عبد السلام هارون،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط1969،3

3-عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،دار الكتاب العربي،بيروت

4-الهادي الجطلاوي، قضايا اللغة في كتب التفسير،كلية الآداب،سوسة،دار محمد علي الحامي، تونس،ط1998،1

5-الجواليقي،المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2008،2

6-الجويني، مناهج في التفسير، دار منشأة المعارف،الإسكندرية، دط، دت،ص110

7-أبوحيان، البحر المحيط،دار إحياء التراث العربي،بيروت،دت،ج1،ص14

8-ابن خلدون، المقدمة،،دار الكتاب العربي،بيروت،ط1996،4

9-الذهبي، التفسير والمفسرون،مكتبة وهبة،القاهرة،ط1988،4

10-الراغب،معجم مفردات ألفاظ اللغة،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1997،1

11-الرافعي، تاريخ آداب العرب،دار الكتاب العربي،بيروت،ط1974،2

12-الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن،دار المعارف، بيروت،ط1980،2

13-الزمخشري،الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،دار المعارف،بيروت،دط،دت

14-السيوطي،الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، دط، دت

15-حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب،أسسه وتطوره إلى القرن السادس،منشورات الجامعة التونسية،دط،1981

16-ابن عاشور،التحرير والتنوير،الدار التونسية للنشر،والمؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984

17-عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة،عمان،ط1981،1

18-أحمد عبد الغفار،النص القرآني وضرورة تفسيره،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،2003

19-أبوهلال العسكري، الفروق في اللغة، منشورات دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط1981،5.
وكتاب الصناعتين الكتابة والشعر، المكتبة العصرية،بيروت،ط2006،1

20-القرطبي،الجامع لأحكام القرآن،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1996،5

21--مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب،عالم الكتب،القاهرة، ط8، 2003